الباب الثاني والأربعون

باب قول اللّه -تعالى-: ﴿فَلا تَجعَلوا للّهِ أَندادًا وَأَنتُم تَعلَمونَ﴾

قناة التأصيل العلمي

http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)





١

الباب الثاني والأربعون: باب قول الله -تعالى-:
(فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

أي: ما جاء في تفسير هذه الآية من أقوال الصحابة

ما هي مصادر التفسير؟

- تفسير القرآن بالقرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا
- تفسير القرآن بكلام الرسول -ﷺ- لأنه هو المبيّن
- تفسير القرآن بتفسير الصحابة لأنهم تلاميذ الرسول ﷺ
- تفسير القرآن بأقوال التابعين لأنهم أخذوا عن الصحابة
- تفسير القرآن بمقتضى اللغة العربية لأنه نزل بها

ما هو أول نداء في المصحف الشريف؟

قوله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) (البقرة: ٢١)

انقسم الناس أمام القرآن إلى ثلاثة أقسام ذُكرت في مطلع سورة البقرة ما هي؟

القسم الأول	القسم الثاني	القسم الثالث
الذين آمنوا بالقرآن ظاهرًا وباطنًا وهم المتقون	الذين كفروا بالقرآن ظاهرًا وباطنًا	الذين آمنوا بالقرآن ظاهرًا وكفروا به باطنًا وهم المنافقون

ثم نادى الله -تعالى- الناس جميعًا المؤمن والكافر والعربي والعجمي ناداهم جميعًا وأمرهم بعبادته

وهذا دليل على عموم رسالة محمد -عليه الصلاة والسلام- وأنه بُعث إلى الناس كافة



(اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

- هذا أمر من الله -تعالى- بعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه
- والمعنى: وحدوا ربكم وأفردوه بالعبادة
- لأن العرب في وقت نزول القرآن كثير منهم يعبدون الله ولكنهم يعبدون معه غيره
- فإذا كانت العبادة غير خالصة لله فإنها تكون عبادة باطلة

ما الدليل الذي ذكره في الآية على وجوب عبادة الله تعالى؟

(الَّذِي خَلَقَكُمْ)

- لأن العبادة لا تصلح إلا للخالق، فالذي لا يخلق لا يصح أن يُعبد
- وهذا فيه إبطال عبادة الأصنام وعبادة الموتى وعبادة الأولياء وعبادة الأشجار لأنها لا تقدر على الخلق
- وما لا يقدر على الخَلق لا يَصحّ أن يُعبَد

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

- إذا ذكرتم أنه هو الخالق لكم ولمن قبلكم لعل تذكركم لذلك يبعثكم على تقوى الله عز وجل فتعبدونه وتتقون عذابه
- لأنه لا يقي من عذاب الله إلا عبادة الله عز وجل
- فهو الذي خلقكم، وخلق لكم المصالح التي تستعينون بها على عبادته -تعالى-، فلم تخلقوا لأنفسكم شيئًا ولم تنبتوا الزرع ولم تنزلوا المطر ولم تخلقوا السماء وما فيها من مصالح العباد، وخلق الأرض وأرساها بالجبال وأخرج الثمرات المختلفة من تربة واحدة، من الذي نظم هذا كله؟ هو الله عز وجل

(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا)

- هذا نهي من الله -تعالى- عن الشرك بعد الأمر بالتوحيد
- فلا تجعلوا لله نظراء وأمثالًا تشبهونهم به وتُشركونهم معه في العبادة وهم خلقٌ مثلكم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا

(وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

- أنه لا ند له -سبحانه- وتعلمون أنّ أحدًا لم يشارك الله في خلقه وفي تدبيره





(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً....)

من خلال هاتين الآيتين أقام الله -عز وجل- الدليل على التوحيد بعدة أمور اذكريها؟

١. خلقُه لهم وجعله الأرض فراشاً والسماء بناء وإنزال المطر وإخراج الثمرات

كلها أدله عقلية واضحة هم يعترفون بها فهذا من إلزامهم بالحجة على التوحيد،

وإبطال الشرك الذي هم عليه وبيان أنه لا برهان له ولا دليل عليه وإنما الدليل والبرهان على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده وإفراده بالعبادة.

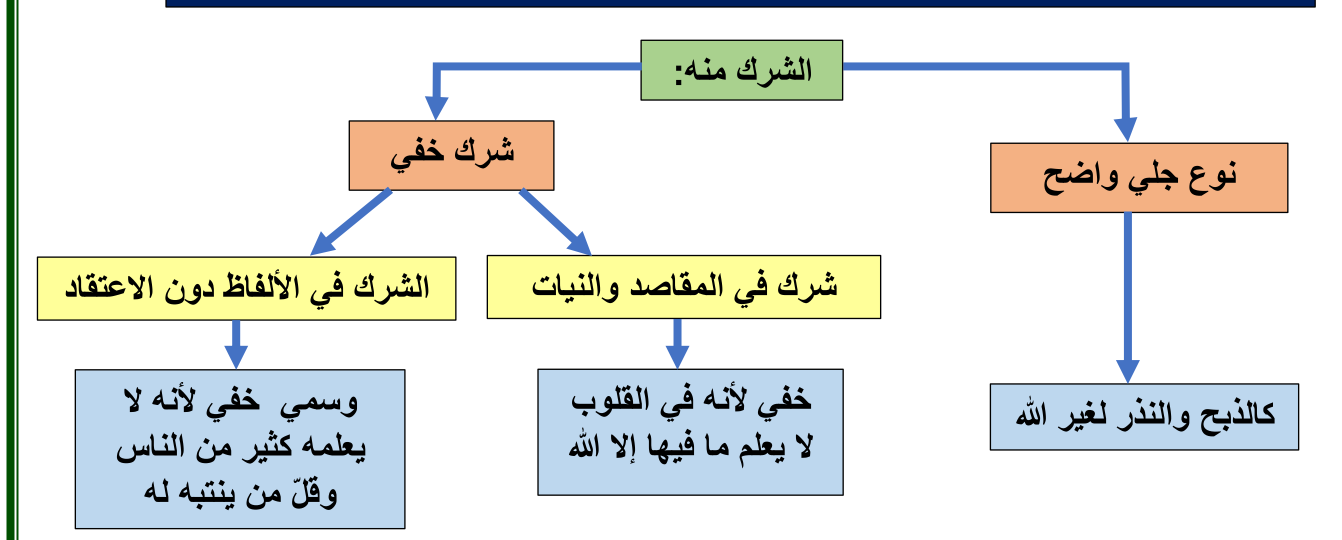
٢. أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي لأنه لوكان كافيًا لكان المشركون موحدين

لأن الله أخبر بأنهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق الذي ينزل المطر ومع هذا لم يكونوا موحدين بل أمرهم بعبادته (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

فدل على أن علمهم بهذه الأشياء لا يكفي حتى يفرودا الله بالعبادة

إذن: فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة وليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية

وقال ابن عباس في الآية: (الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان.....)





أمثلة على الشرك الخفي يقولها بعض الناس بألسنتهم:

- "والله وحياتك يا فلان وحياتي"
- والنبي
- والأمانة

الحلف بغير الله من الشرك الذي يجري على ألسنة كثير من الناس

- إذا كان لا يقصد تعظيم المخلوق كما يُعظم الله تعالى ← فهذا شرك أصغر
- وّاذا كان يقصد تعظيم المخلوق مثل ما يُعظم الله تعالى ← فهذا شرك أكبر

من أي نوع الحلف بالقبور والأضرحة؟ ← من الشرك الأكبر ← لماذا؟ ← لأن كثيراً منهم يتساهل بالحلف بالله ولا يتساهل بالحلف بالضريح أو الولي، فهو يخاف من البطش من هذا الولي

اذكري مثال آخر على الشرك في الألفاظ ← قول: ما شاء الله وشئت ← السبب في كونه شرك ← لا يجوز الجمع بين الله وغيره بالواو لأن الواو تقتضي التشريك

ما هو الصواب؟ ← ما شاء الله ثم شئت ← لأن "ثم" للترتيب وجعل مشيئة المخلوق بعد مشيئة الخالق

عن ماذا نَهت الآية (فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)؟

نهت عن اتخاذ الأنداد وهذا يشمل الشرك الأكبر والشرك الأصغر

عللي: مثّل ابن عباس بالشرك الأصغر؟

ليُنبّه به على ما هو أشد منه وهو الشرك الأكبر، فإذا كان الشرك الأصغر لا يجوز فكيف بالشرك الأكبر؟

والسلف يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على منع الشرك الأصغر لأنه نوع من الشرك



ماذا يستفاد من الآيتين السابقتين مع قول ابن عباس رضي الله عنهما؟

١ أن التوحيد هو أعظم مأمور به، لأن الله بدأ به في أول نداء في المصحف

٢ في الآية دليل على أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي في التوحيد

٣ في الآيتين الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية وأن توحيد الربوبية وسيلة وتوحيد الألوهية غاية

٤ أنه لا يكفي الأمر بالتوحيد بل لا بد من النهي عن الشرك، فالذي يقتصر على الأمر بالتوحيد ولا ينهى عن الشرك لم يقم بالمطلوب لأن ذلك لا يحقق شيئًا

٥ أن هذه الألفاظ التي ذكرها ابن عباس تجري على ألسنة كثير من الناس وهي من الشرك الأصغر ويسمى شرك الألفاظ، ولو لم يقصد بقلبه وهو من اتخاذ الأنداد

٦ أن السلف يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر

وعن عمر بن الخطاب* -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"

"من حلف بغير الله" ← أقسم بغير الله

ما معنى الحلف والقسم؟
- تأكيد شيء بذكر معظم على وجه مخصوص
- وهو تعظيم للمقسم به، والتعظيم إنما يكون لله عز وجل
- فالمخلوق لا يُقسم إلا بالله أو بصفة من صفاته
- ولا يجوز له أن يقسم بغيره كائنًا من كان لا يقسم بالأنبياء ولا بالملائكة ولا بأي شيء إلا الله تعالى
- أما الله تعالى فإنه يُقسم بما شاء من خلقه

"فقد كفر او أشرك"
- إما شك من الراوي
- أو أن "أو" بمعنى "الواو" فيكون المعنى "فقد كفر وأشرك" أي جمع بين الكفر والشرك

*الراوي هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. (الملخص: ٣٢٦)





س: جاء في بعض الأحاديث الحلف بغير الله كقوله -ﷺ-: "أفلح وأبيه إن صدق" مع قوله -ﷺ-: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" كيف أجاب العلماء على ذلك؟

أن هذا وأمثاله لا يُقصد به اليمين وإنما يجري على الألسنة من غير قصد اليمين

أن هذا كان قبل النهي فكان يجوز الحلف بغير الله وبعد ذلك نُهي عن ذلك

فقوله -ﷺ-: "أفلح وأبيه" يكون منسوخًا بالنهي عن الحلف بغير الله

وهذا الذي رجحه -رحمه الله- في الشرح

الشاهد من الحديث

أن الحلف بغير الله من اتخاذ الأنداد لله -عز وجل- لأن الند معناه: النظير والشبيه، فالذي يحلف بغير الله يجعل المحلوف به نداً لله وشبيهاً لله عز وجل

وقال ابن مسعود: (لأنْ أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليّ من أنْ أحلف بغيره صادقًا)

حكم الحلف بالله كاذبًا ← محرم وكبيرة من كبائر الذنوب

حكم الحلف بغير الله ← شرك والشرك أكبر الكبائر

سيئة الشرك أشد من سيئة الكذب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "لأن الحلف بالله كاذبًا فيه توحيد والحلف بغير الله صادقًا شرك وحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق"

وعن حذيفة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن..."

من هم الجبريّة؟ ← يقولون المخلوق ليس له مشيئة وإنما هو مجبر ومسيّر ليس له اختيار ولا مشيئة

كيف نرد على الجبرية؟ ← هذا الحديث فيه رد عليهم لأنه أثبت للمخلوق مشيئة وجعلها بعد مشيئة الله تعالى فمشيئة المخلوق مترتبة على مشيئة الخالق عز وجل

على ماذا يدل قوله -ﷺ-: "ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان"؟

أنه من منعَ من شيء فإنه يذكر البديل الصحيح عنه إن كان له بديل، لأن النبي -ﷺ- لما منع من هذه العبارة "ما شاء الله وشاء فلان" ذكر البديل الصحيح عنها وهو قول: "ما شاء الله ثم شاء فلان"



وجاء عن إبراهيم النخعي: (أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك) قال: (ويقول: لولا الله ثم فلان ولا تقولوا: لولا الله وفلان)

ما حكم صرف الاستعاذة لغير الله؟ ← الاستعاذة نوع من أنواع العبادة لا يجوز صرفها إلا لله تعالى

ما حكم قول : "أعوذ بالله وبك"؟ ← لا يجوز، لأنك شرَّكت بين الخالق والمخلوق والتجأت إليهما جميعاً وهذا شرك

متى يجوز الاستعاذة بالمخلوق؟

- أن تجعل الالتجاء إلى المخلوق بعد الالتجاء إلى الخالق
- يلتجأ بالمخلوق فيما يقدر عليه
- أن يكون حياً فلا يجوز العياذ بالميت مطلقًا

عللي: انتشار هذه الأمور في الناس

١ لمّا قل تدريس التوحيد وشرح العقيدة والدعوة إليها في المحاضرات والندوات والصحف انتشرت هذه الأمور

٢ انتشرت بسبب شياطين الانس والجن الذين يريدون إفساد عقائد الناس

٣ انتشرت بسبب أن الأكثر يركزون على أمور أخرى جانبية لا تفيد شيئًا إذا اختلت العقيدة

الخلاصة ← الاهتمام بأمر العقيدة وتصحيحها هو أم المهمات والتوحيد هو الأساس الذي تبنى عليه أمور الدين كلها

ولو تصححت أخطاء المعاملات والآداب والأخلاق ما نفعت بدون إصلاح العقيدة

المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.